مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
مجلد :17 / عدد: 1/ 2019 /ص ص6-15 EISSN 2600-6499

الفيلا روستيكا الرومانية *(Villa Rustica)* وظهور نظام بنائها
"فيلا قصر فاطمة نموذجا"
The Villa Rustica and norms of constructions
Villa Kasr Fatma for example

مـداد كمـال[1]♦
[1]باحث بالمركز الوطني للبحث في علم الآثار(الجزائر) kamel.medad@cnra.dz

تاريخ الإستلام : 2018/12/09 – تاريخ القبول : 2019/03/06 – تاريخ النشر : 2019/12/31

الملخص :
إن هذا النوع من المستثمرات الزراعية ظهر بايطاليا خلال القرن الأخير من عهد الجمهورية الرومانية ثم انتشر بعد ذلك في كامل أرجاء الإمبراطورية، ففي المقاطعات كانت ملكية الفيلا المحيطة بالمستعمرات ملكا لوجهاء المدينة أو قدماء الجند أو العناصر المتروّمنة وكان نواب مجلس الشيوخ يسيطرون على الكثير منها، تشيد الإقامة
الكلمات الإفتتاحية : فيلا روستيكا – آثار ريفية – منشآت فلاحية –الطارف .

Résumé :

The term Villa comes from the same root as Vicus. Villa does not mean residence or house, but its use generally applies to houses located in fields far from cities. The term Villa Rustica designates the rural estates with residences and facilities linked to agricultural work and the Pars Urbana, it is on the whole part of the house inhabited by the owner of the villa. This type of agricultural establishment appeared in Italy during the last century of the Roman Republic and then spread throughout the empire. In the provinces, the villa surrounding the colonies belonged to city dignitaries, army veterans or influential elements in the Roman scene .

Keywords : Villae – Taref – house – agriculture

إن مصطلح فيلا ***(Villa)*** مشتق من نفس جذر مصطلح *(Vicus)* ،وفيلا يعني إقامة أو منزل[1] لكن استعماله عادة ما يقصد به المنازل التي بالحقول البعيدة عن المدن ، أما مصطلح فيلا ريفية *(Rustica)*

♦ المؤلف المرسل

[1] Columelle, De Rei Rustica.,1.6

Villa) فيقصد به الضيعات الريفية[2] التي بها إقامات وبها منشآت ذات علاقة بالعمل الزراعي وعكسها فيلا حضرية (*Villa urbana*)[3]، فهي على العموم الجزء من الدومان الذي به منزل مالك المزرعة[4].

صورة لفيلا ريفية فسيفساء طبرقة (متحف الباردو) تونس.

إن هذا النوع من المستثمرات الزراعية ظهر بايطاليا خلال القرن الأخير من عهد الجمهورية الرومانية ثم انتشر بعد ذلك في كامل أرجاء الإمبراطورية، ففي المقاطعات كانت ملكية الفيلا المحيطة بالمستعمرات ملكا لوجهاء المدينة أو قدماء الجند أو العناصر المتروّمنة وكان نواب مجلس الشيوخ يسيطرون على الكثير منها، تشيد الإقامة (Pars urbana) في الغالب على ربوة تحيط بها أراضي متنوعة الاستغلال(Pars Rustica) بعضها مخصص لزراعة الزيتون والكروم وبعضها لزراعة الحبوب والخضروات والبعض الآخر حديقة بالقرب من الإقامة ، بالإضافة إلى أجزاء غابية ومراعي، كما يحرص أصحاب هذه المستثمرات على اختيار موقعها حيث يحرصون على إقامتها بالقرب من الأودية ومصادر المياه الأخرى[5].

[2] Caton, De Re Rust.,3,5,10,pp13-15.
[3] Saglio(E.)et Daremberg(Ch.) ,*D.A.G.R.* ,*T. V, p870*
[4] Smith, J. T. 1997. *Roman Villas: A Study in Social Structure*. London: Routledge.
[5] El Bouzidi (Said), *La conception de la villa rustica chez Caton, entreprise agricole où simple ferme rurale ?, Gérion, N°21, Année 2003, pp183-184.*

-الفيلا الريفية لـ "قصر فاطمة":

تقع الفيلا الريفية "قصر فاطمة" بضواحي مشتة وادي الجنان، في شمال شرق بلدية العيون الحدودية (الحدود الجزائرية-التونسية) وهي تابعة لدائرة القالة ولاية الطارف، حيث تبعد عن مقر البلدية بـ 07 كم، وهي تتربع على مساحة 400م^2.

وهي عبارة عن فيلا ريفية Villa Rustica يعود بنائها الى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي و هي تتكون من طابقين ، مع جدران مبنية بشكل جيد للغاية من الحجر الرملي العادي وبتقنية Vittatum، و هي محافظة على ارتفاع يصل إلى 7.56 متر تقريبا من السطح الأرض .

باب المدخل المقوس يمنح الوصول إلى الفناء المحاط بـ 3 أروقة مكونة من أعمدة وأروقة. كل رواق يتألف من ثلاثة أقواس مشكلة من كتل حجرية .

تقع غرفة معصرة الزيت الضخمة (torcularium) المحفوظة بالكامل في الفضاء المجاور للمدخل، و الجديد التكنولوجي لعناصر المكونة لمعصرة فيلا قصر فاطمة هي عجلة المسننة، وهي محفوظة في 3 نسخ في الفيلا وليس في 11 مزرعة أخرى المجاورة لها . حتى الآن ، لا توجد أمثلة أخرى في البحر الأبيض المتوسط[6] القديم ، حيث تسمح العجلة المسننة السحق بقوة كبيرة على الزيتون في الطاحونة.

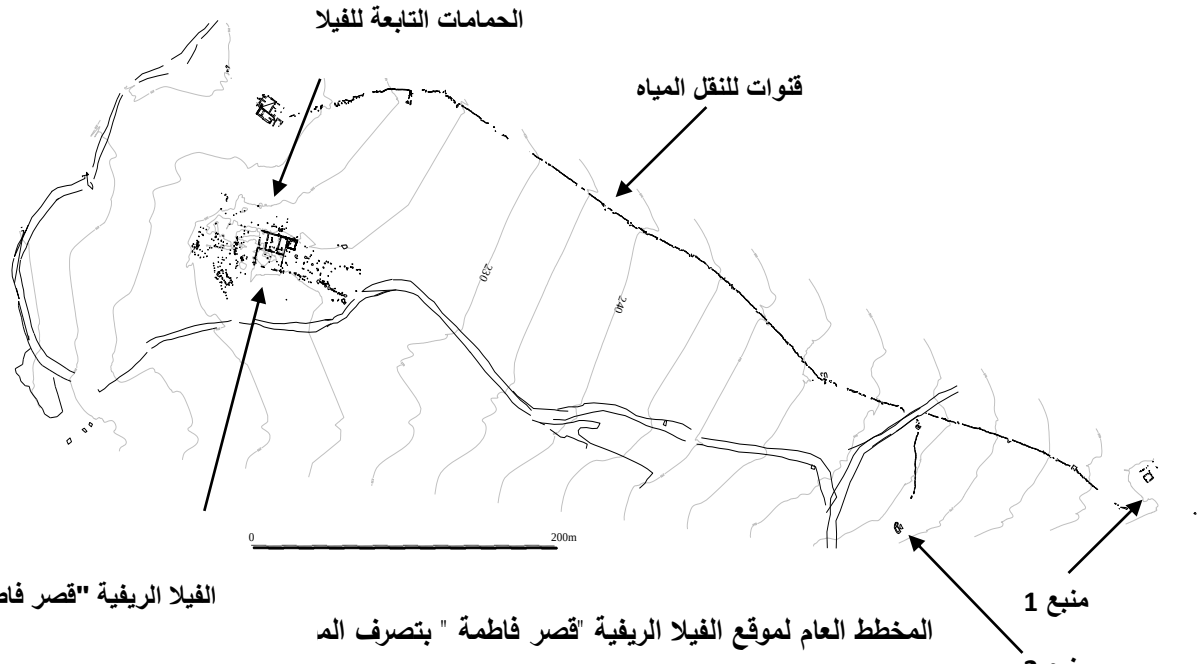

الفيلا الريفية "قصر فاطمة" وملاحقها

المخطط العام لموقع الفيلا الريفية "قصر فاطمة " بتصرف الم

[6] حسب ، ماريات ديفوس التي قامت بأبحاث ودراسات في كل من ايطاليا ، تونس ، تركيا والجزائر ، فان هذه التقنية جديدة وغير مذكورة في المصادر القديمة وغير موجودة فالمناطق التي كانت تحت السيطرة الرومانية ما عدى منطقة القالة؟

كما يوجد النوافذ الصغيرة في الطابق الأرضي ، والنوافذ الكبيرة مقوسة في الطابق الأول، و اما الطابق الأرضي للمبنى فهو مخصص للجانب الفلاحي Pars Rustica وهو مهيأ على شكل فضاءات مخصصة للمنتوج الفلاحي و للتخزين ، اما الطابق الأول فلديه وظيفة سكنية Pars urbana.

يتكون المبنى من 9 غرف بالطابق الأرضي: مدخل ساحة (4) مع 3 اروقة ذات اقواس(1-3) ، ممر (5) إلى غرفة العصر (6) ، المستودع (8) و غرف (7) و (9) مخازن (؟).

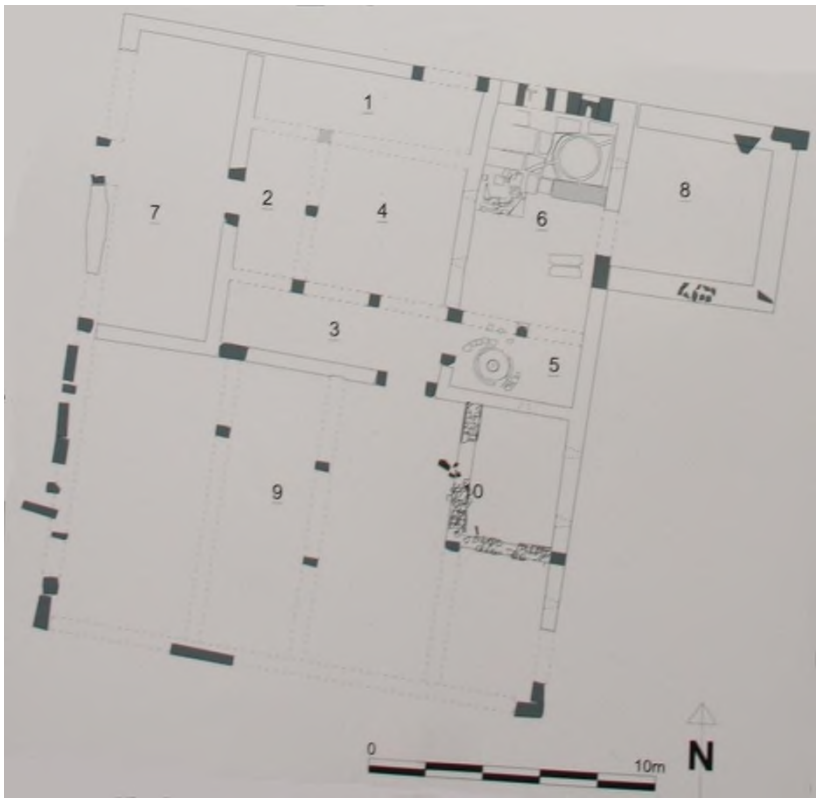

مخطط مفصل للفيلا الريفية "قصر فاطمة" بتصرف المؤلف

كما احتفظت الغرفة فوق قاعدة العصر torcularium بطبقة البلاط على الجدار الشرقي. وتم العثور على أجزاء من الفسيفساء متعددة الألوان (اللون الأصفر والوردي ، والحجر الجيري الأبيض والأسود) بكميات كبيرة خلال أعمال التنظيف. من المحتمل أنها استعملت لتبليط الغرفة العلوية فوق torcularium. كانت أرضية الطابق الأول مدعومة بعوارض مربعة المقطع ، حيث لازالت شكل الثقوب المربعة في أعلى الجدران المستوى الأرضي التي كانت بلا شك مخصصة لتثبيت العوارض الخشبية .

صور لبعض الفضاءات المكونة للفيلا "قصر فاطمة

رفع اثري بالأبعاد الثلاثة 3D للفيلا الفلاحية "قصر فاطمة"

إشكالية اللفظ بين الفيلا أو الضيعة:

على الرغم من أن العديد من المنشآت المخصصة لعصر الزيت والمزارع الكبيرة تعطي انطباعًا بأنها تعمل كمراكز إنتاج زراعي ريفي ، إلا أن هناك مشكلة في استخدام مصطلح "فيلا" لوصف هذه المنشآت الريفية،و يظل مصطلح "فيلا" عاملاً حرجًا ومن الصعب تحديده بدقة[7].

وترتبط المشكلة بتعريف ووصف القديم نفسه في المصادر الأدبية وأهم الاستنتاج ، المستمد من الدليل الأدبي ، هو غياب المعنى الخاص للمصطلح فيلا[8]. إنها كلمة لاتينية يمكن أن تعني مزرعة أو مكان سكني في الريف[9]، كما يشير المصطلح إلى أنه يمكن أن يكون مبنى في الريف أو في المنطقة الشبه الحضرية وله غرض زراعي أو مجمع من المباني الواقعة في قلب مزرعة ناشطة[10] .

وقد أثرت ظاهرة الفيلات الفاخرة الإيطالية بشدة على الفهم الحديث لمصطلح "فيلا" C. Gandini يؤكد بوضوح هذه المشكلة المصطلحات ، ويقبل السمة التالية: "من الناحية المعمارية ، ينبغي أن ينظر إليه على أنه أكثر المستوطنات الريفية تعقيدا ، حيث يجمع بين جزء سكني أكثر راحة أو أقل ، وجزء من البناء ينطوي على نشاط زراعي متميز بوضوح عن الأول"[11] يمكن القول بأن الفيلا الريفية ظهرت في كثير من الأحيان في المناطق التي تستوفي هذين الشرطين الرئيسيين:

1) المناطق التي تتميز بمصادفة عوامل مواتية مثل الخصوبة والمناخ وإمكانية الحصول على مياه جيدة 2) مواقع قريبة من طرق النقل ، وربط العقارات مع المدن للتجارة والتبادل السلع، و كانت الفيلا كمؤشر يعكس شكلاً من أشكال التنظيم الاقتصادي الذي يركز على العقارات الريفية. من الناحية الاقتصادية ، تعمل الفيلا الريفية الرومانية كمركز منظم يقوم بإدارة الممتلكات ، وتضطلع بدور رئيسي في تنسيق إنتاجها لتزويد المراكز الحضرية واحتياجات السوق.

[7] Smith, J. T.. *Roman Villas: A Study in Social Structure*. London: Routledge. 1997
[8] Marzano, A. *Roman Villas in Central Italy: A Social and Econlomic History*. Leiden-Boston. . 2007

[9] Mulvin, L.. *Late Roman villa plans: the Danube-Balkan region*. BAR International Series 1064. Oxford. 2002
[10] Varron; Di Re Rustica, 3.2. 3-6; 6-12
[11] Gandini *Les formes de l'habitat rural dans la cité des Bituriges Cubi, typologie ethiérarchie.* Paris1999.

وقد أبرزت الدراسات المسح الأثري التي أجريت مؤخرا في المناطق الريفية في شمال أفريقيا عدة أنواع من المواقع الريفية الزراعية بما في ذلك الفيلات. على سبيل المثال ، حدد مسح القصرين خمسة أنواع من المستوطنات الزراعية (مرتبة من قرى فلاحية إلى منشآت صغيرة) في السهوب التونسية العليا. مواقع مميزة كفيلا احتلت الطبقة الثانية في التسلسل الهرمي للمستوطنات بعد القرى الفلاحية agroville. وصف Hitchner "الفلات" في القصرين كمراكز كبيرة للاستغلال الزراعي تضم العديد من المباني (Hitchner 1989) و التركيز على الأنشطة الزراعية ، على وجه الخصوص.

أدت زراعة الزيتون في المستوطنات الريفية في منطقة القصرين إلى قيام هتشنر باستنتاج أن إمكانات تسويق زيت الزيتون في العصر الروماني شجعت على تطوير نظام تعمير بشري هرمي[12]. و كما اقترح أيضا أن الفلات تعمل كمراكز للمدن الريفية ، وتتألف من عدد من المساكن والمباني الملحقة و كانت فيلات منطقة القصرين مراكز كبيرة للاستغلال الزراعي.

أن المسح الأثري ، الذي أجريناه أي فريق إيطالي–الجزائري ، حول الفيلا الرومانية في وادي الجنان ، هو أول مقاربة طوبوغرافية منظمة لهذه الضاحية الريفية لمدينة تابرقا الررومانية (مدينة ساحلية تقع في أقصى الجهة الغربية للجمهورية التونسية)، حيث تظهر نتائج مسح منطقة وادي الجنان تطور كبير في هذا الريف في محيط تابرقا Tabarca. حيث كان تعمير الهرمي للمستوطنات تهيمن عليه الفلات الريفية والضيعات وكانت تمثل الفترة الرومانية الأولى (القرن الثاني والثالث الميلادي) فترة الذروة للفيلات والمزارع في المنطقة .

من الواضح أن أوجه الشبه مع تصنيف مسح القصرين واضحة ، على الرغم من أنه من غير الممكن إجراء مقارنات أكثر وضوحًا بسبب الطبيعة الواسعة لمشروع الخريطة الأثرية للشرق الجزائري ومع ذلك ، غير أن الكثافة العالية للسكان الريف و للمستوطنات في الفترة الرومانية المسايرة لتك الضيعات والتسلسل الهرمي المتميز للمنشآت تشير إلى اندماجهم في اقتصاد زراعي إقليمي (يعتمد أساسًا على زراعة زيت الزيتون) وتسيطر عليها نخبة أثرياء مدينة طابرقا.

[12] Hitchner The Kasserine Archaeological Survey, 1982-1986. *Antiquités africaines* 24: 7-41. 1988

وعلى النقيض من ذلك ، تتجنب دي فوس De Vos ، التي كانت تقوم باستطلاع طبوغرافي وأثري مكثف في محيط دوقا ، وهي مدينة قديمة في شمال تونس بين 1994–1999 ، استخدام مصطلح "فيلا" في المصطلحات الخاصة بها، فكانت تفضل تحديد المواقع الريفية كمزارع بدلا من الفيلات بسبب اللبس والغموض لمعنى الفيلا المستمد من مصادر أدبية، حيث يمكن أن تكون الفيلا عبارة عن سكن ريفي و / أو حضري أو شبه ريفي أو شاطئ للبحر أو حتى مزيج من هذه الفئات ، مع مجموعة واسعة من المنازل الريفية الفاخرة أو من المنازل الحضرية، علاوة على ذلك ، ووفقًا لـ دي فوس De Vos ، تم تحويل "الفيلا" في سياق التاريخ الروماني (كانت فيلا Caton مختلفة عن تلك التي وصفها Varron و Cicero و Columelle و Pline) ، وتختلف وفقًا للعوامل الجغرافية والمناخية والثقافية[13].

توفر مجموعة كبيرة من المواقع الزراعية سجلًا رائعًا وقابلاً للتسويق للإنتاج الزراعي الريفي في الفترة الإمبراطورية الرومانية، و كمية وكثافة هذه المواقع المسجلة في منطقة الطارف تظهر الدور الأساسي لإنتاج زيت الزيتون في اقتصاد مقاطعة البروقنصلية خلال العصر الروماني. لا شك أن حجم وعدد المعاصر التي تم العثور عليها في العديد من المواقع تظهر أنها مراكز للعقارات الكبيرة ذات مستوى مرتفع من فائض الإنتاج، على الرغم من أن المشهد الطبيعية لمنطقة الطارف كانت تسيطر عليه في القديم أنواع وأحجام مختلفة من المباني الزراعية في المناطق الريفية .

[13] De Vos M. *Rus Africum: terra, acqua, olio nell'Africa settentrionale : scavo e ricognizione nei dintorni di Dougga (Alto Tell Tunisino)*. Trento. 2000 p 21

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

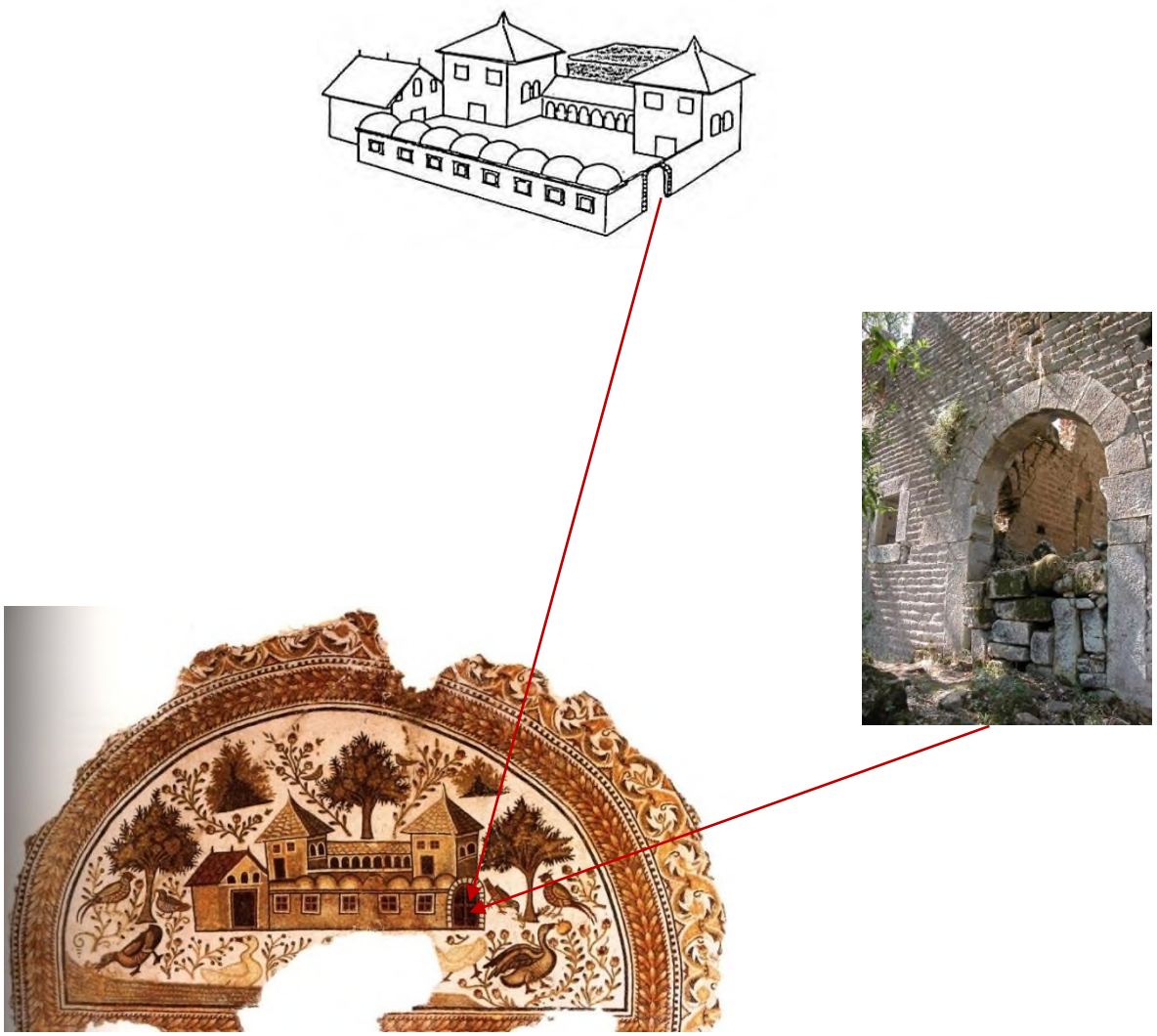

المدخل الرئيسي لفيلا قصر فاطمة وتطابقه مع مدخل الفيلا المزينة لفسيفساء طبرقة التي تعود للقرن 4م.

المصادر القديمة:

- Caton,De Re Rustica., édition Keil, Paris 1882.

- Columelle, De Rei Rustica, en 12 livres, éd. Belles lettres, Paris. SD

- Varron , De Re Rustica, *I, 25*

المراجع البيبليوغرافية:

- Daremberg (M.M.Ch) et Saglio (E.D.M.), *Dictionnaire des antiquités gréco-romaines. ed.Hachette. T III, IV. Paris .1877.*

- De Vos, M. 2000. *Rus Africum: terra, acqua, olio nell'Africa settentrionale : scavo e ricognizione nei dintorni di Dougga (Alto Tell Tunisino)*. Trento.

- El Bouzidi (Said), *La conception de la villa rustica chez Caton, entreprise agricole où simple ferme rurale ?, Gérion, N°21, Année 2003, pp183-184.*

- Gandini, C. 1999. *Les formes de l'habitat rural dans la cité des Bituriges Cubi, typologie et hiérarchie.* Paris.

- Hitchner, R. B. 1988. The Kasserine Archaeological Survey, 1982-1986. *Antiquités africaines* 24: 7-41.

- Marzano, A. 2007. *Roman Villas in Central Italy: A Social and Econlomic History*. Leiden-Boston.

- Mulvin, L. 2002. *Late Roman villa plans: the Danube-Balkan region*. BAR International Series
1064. Oxford.

- Smith, J. T. 1997. *Roman Villas: A Study in Social Structure*. London: Routledge.